

تاريخ القبول: 2025/04/11

تاريخ الإرسال: 2023/06/19

تاريخ النشر: 2025/04/30

## صورة المرأة في المسرح الجزائري المهاجر -مسرحية ألجرينو لنور الدين مغسلي أنموذجاً-

### The Image of women in the Algerian immigrant theater -the play Algerino by Nouredine Mughasli as a model-

أحلام سيليني<sup>1</sup>جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)؛ [a.silini@univ-skikda.dz](mailto:a.silini@univ-skikda.dz)<sup>1</sup>

#### المخلص:

يتناول هذا المقال جملة من الموضوعات التي لها علاقة وطيدة بواقع المجتمع الجزائري في فترة معينة من الزمن، نخص بالذكر صورة المرأة الجزائرية في المسرح المهاجر، وقد تناولنا في دراستنا تجليات وحضور المرأة الأساسي في مسرحية ألجرينو لكتبتها المهجري نور الدين مغسلي التي اشتملت على ثلاث لوحات حملت عناوين أمي، أختي، ابنتي، فتطرقنا إلى المرأة من المنظور الاجتماعي والنفسي متخذين المسرحية مجالا فسيحا لربط هذه العناصر بالمتن ومنه رصد لتلك التجليات، والكشف عن أبرز التيمات التي شكلت موضوع المسرحية، ويهدف هذا البحث إلى التعريف بالمسرحية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ومعالجتها للواقع الجزائري إبان فترة الاحتلال وبعده، ممثلة لنموذج المرأة تيمة أساسية عالجها المسرح في المهجر، وسنقف في هذا المثال عند أبرز المحطات التي تناولها الكاتب من خلال تسليطه الضوء على المرأة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: المسرح، المرأة، المهجر، المجتمع، المقاومة، الاضطهاد.

### Abstract:

This article deals with a number of topics that have a close relationship with the reality of Algerian society in a certain period of time, especially the image of Algerian women and what is in the immigrant theater, and we have dealt in our study of this text the manifestations and the basic presence of women in the play *Allegirino* by its displaced writer Nouredine Mughslī, which included three paintings entitled *My mother, my sister, my daughter*. We touched on women from a social and psychological perspective, taking the play as a wide field to link these elements to the text, including monitoring these manifestations, and revealing the most prominent themes that formed the theme of the play. This research aims to introduce the Algerian play written in French and its treatment of the Algerian reality during and after the occupation period, representing the model of women as a basic theme addressed by theater in the diaspora, and we will stand in this example at the most prominent stations addressed by playwright by shedding light on Algerian women.

**Keywords:** Theatre, Women, Diaspora, Society, Resistance, Persecution.

أحلام سيليني، [A.SILINI@UNIV-SKIKDA.DZ](mailto:A.SILINI@UNIV-SKIKDA.DZ)

### 1. مقدمة:

يعدّ فنّ المسرح أحد الأشكال الأدبية ذات الصلة الوطيدة بحياة الإنسان، تترجم اهتماماته وتطلعاته وتعالج واقعه المعيش كما أنّ له القدرة على كشف العديد من الخبايا وتقفي أثر الفرد والمجتمع، فوظيفة المسرح على وجه الخصوص هو رصد تلك الظواهر الاجتماعية وما تتضوي عليه من رؤى تختلف باختلاف التوجهات و الانتماءات والمواضيع بتنوّعها، ولعلّ أبرز وأهمّ المحاور التي تناولها المسرح في

الوطن العربي وفي أدبنا العربي بصفة عامة موضوع المرأة الذي كان طاغيا في أغلب المسرحيات كونه موضوعا يستحق الطرح، والتطرق له ضرورة من الضروريات بالنظر لما كانت تعانيه من تهيمش وقمع وضغوطات فمن هذا المنطلق اتخذ الكتاب المسرحيون قضية المرأة تيمة أساسية في عروضهم المسرحية وكذا مسرحياتهم التي ألفوها، ونجد في مسرحنا العربي ذلك التوظيف المكثف والواضح لموضوع المرأة كونها تمثل نصف المجتمع والحلقة الأهم في سيرورة الأحداث، أما في مسرحنا الجزائري فقد كان تناول موضوع المرأة ظاهرة سيما المسرح الجزائري في المهجر وبلغه الآخر -الفرنسية- ففي مسرحية ألجرينو لكانتها نور الدين مغسلي تسليط واضح للضوء على تيمة المرأة بشكل خاص، فكيف تجلت صورة المرأة وحضورها في المسرحية المكتوبة باللغة الفرنسية؟ وما الغاية من توظيف تيمة المرأة في الأعمال المسرحية الجديدة؟

ويهدف بحثنا إلى تقديم نبذة عن المسرح المهاجر وتناوله لأبرز المواضيع المتعلقة بالواقع ورصد أبرز السمات التي ميّزت فن المسرح على الضفة الأخرى، ومدى مساهمته في نقل انشغالات وهموم المجتمع الجزائري.

## 2. نماذج عن توظيف المرأة في المسرح العربي و الجزائري:

منذ نشأة فنّ المسرح وبروز ثلّة من المسرحيين العرب أمثال مارون النقاش ويعقوب صنوع أبو خليل القباني وغيرهم، بدأت تنقش تلك الصورة الضبابية المرسومة عن حقيقة المرأة وإبراز مكانتها وسط مجتمع رجعي لا يعترف بحقيقة أنّ المرأة تشكّل نصف المجتمع وأنّ قيمتها تفوق العديد من الأساسيات في حياة الجماعة، ونأخذ على سبيل المثال أحد أكبر رجال المسرح الذين تقاتلوا في إبراز أهمية ودور المرأة في المجتمع ألا وهو توفيق الحكيم، كيف لا وهو من أخرج المصريين كمجتمع يمثلّه وللمجتمع العربي بصفة عامة حقيقة المرأة وكيف أنّ حقّها

ضائع مهضوم و مصيرها متحكم به من طرف الجنس الآخر، أبرز لنا تلك المعاناة الصامتة دون أن تتبس ببنت شفة تحمل شكوى أو تذمر، فالمعاملة التي تعودت عليها جعلت منها كتلة جماد مهمتها سوى الصمود والمقاومة. كما يرى بعض النقاد بأن مسرحية توفيق الحكيم "يا طالع الشجرة" تعتبر نكسة شخصية حميمة في نظرته للمرأة بل ونزوعه إلى القضاء عليها والتخلص منها، كما حدث فعلا في هذه المسرحية حيث يقتل رجل زوجته ليستخدم رفاتها كسماد يغذي به الشجرة المثمرة شجرة الأدب والإبداع الفكري<sup>1</sup> ففي فحوى المسرحية صورة حيّة نلمح فيها ذلك الإجحاف المبالغ فيه الممارس في حق المرأة على مرّ الأزمنة والعصور.

أما في مسرحنا الجزائري فنجد عديد النماذج التي تجسّد المرأة في شخصية محورية رئيسية، أدّت أدوارا جليلة أثبتت من خلالها أنّ دورها لا يقلّ أهمية عن دور الرجل، وخير دليل على ذلك مسرحية جميلة بوحيرد فبالإضافة إلى هذه المسرحية الخالدة فهناك عديد المسرحيات التي طرقت موضوع المرأة منها مسرحية الخنساء وهي دراما تاريخية دينية بثلاثة فصول وأحد عشر مشهدا كتبها الصالح رمضان أواخر الأربعينات، وتعالج مسرحية الخنساء مصير الحالة النفسية لامرأة شاعرة فقدت إختوتها في حرب ثار وانتقام واستشهاد أبنائها للدفاع عن النفس والوطن من اعتداءات إمبراطورية كسرى<sup>2</sup> وهنا كذلك عرض للحالة النفسية والاجتماعية لامرأة تعاني الظلم والاضطهاد، كما نجد مسرحية امرأة الأب كنموذج آخر للمرأة التي كانت على مرّ الزمان مضطهدة شابها الكثير من الإجحاف في حقوقها وحرّيتها إلى درجة أنّها لم تشعر بالخوف أبدا من موتها في أيّ لحظة، تعالج مسرحية امرأة الأب دعوة تحرر الإنسان من الماضوية والتخلص من رواسبه واحتجاب المرأة في البيت ظلما وعدوانا<sup>3</sup> وهاهي المرأة مرة أخرى تلقى المصير المحتوم الذي تعودت عليه في وقت من الأوقات أين همشت بشكل مبالغ فيه. في حين نرى الكاتب عز الدين

جلاوجي في مسرحيته "حيزية" ناقما على العادات الاجتماعية التي حالت دون تحقيق الغاية المرجوة، وهي أن للمرأة الحق في تقرير مصيرها كما وأن لها الحق في الحب اختيار من تحب، تشخص مسرحية "حيزية" موضوع الحب العذري في المجتمع البدوي وذلك من خلال علاقة حب جمعت بين شاب يدعى "سعيد" مع ابنة عمه "حيزية" غير أن سلطة التقاليد الاجتماعية البالية في المجتمعات العربية البدوية تتدخل لتحول دون الوصال بين العاشقين وتتويع حبهما بالزواج<sup>4</sup> هذه القصة الواقعية اتخذت رؤى متعددة بين مختلف شرائح المجتمع الجزائري بالنظر لشيوعها وأخذها للطابع الواقعي المؤثر، وترجم هنا حقيقة تحكم الرجل في مصير الأنثى وهو صاحب القرار النهائي في ما يتعلق بمصير المرأة، ونخص بالذكر هنا موضوع الزواج الذي يشكل قضية جوهرية وأساسية في حياة كل أنثى، ونجد حضور المرأة في المسرحيات بشئى أنواعها فالتاريخ يشهد بذلك وخير دليل على ذلك مسرحية حنبل وبوغرطة، أين كانت فيه المرأة رمزا للحب والعطاء وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا في موضوعنا عن المرأة أما وأختا وابنة والتي شكلت متن المسرحية والواقع أن المرأة الجزائرية لعبت دورا إيجابيا في مسيرة المسرح الجزائري فمثلت أدوار الأم والأخت والزوجة في العديد من المسرحيات، فساهمت بذلك في نهضة هذا الفن الذي هو حاجة المرأة أيضا<sup>5</sup> لأن المرأة بكل بساطة عنصر فعال منذ القدم في بناء المجتمعات فهي في كل مرة تظهر إلّا وأثبتت أنها تستحق المكانة العليا وهكذا تراوحت أدوار المرأة في المسرحيات وتناولها من قبل رجال المسرح في الجزائر من مختلف الجوانب الاجتماعية والنفسية وحتى العرفية والسياسية.

### 3. صورة المرأة في مسرحية ألجريينو لنور الدين مغسلي:

#### 1.3 من المنظور الاجتماعي:

تشكل المرأة نصف المجتمع كما تؤدي دورا مهما في مسرح الأحداث بصفة عامة، وقد كان للمسرح الجزائري إطلالة ملفتة لقضية المرأة على أساس أنّ المرأة الجزائرية كانت دوما تعاني نظرة المجتمع لها منذ القدم ووجهت لها إليها انتقادات كثيرة جعلت منها تصمت رغم الألم وتكبت رغم العذابات التي عاشتها، أين كان الظلم مسيطرا على حياتها والرجل المتحكم الأول والأخير في مصيرها، وبناءا على هذا وذاك فقد برزت هته المرأة الحديدية من خلال أدوارها الجليلة في عديد المواقف والمناسبات وأثبتت أنّها بالفعل تمثل نصف المجتمع بل أكثر من ذلك.

إذن فإنّ قضية المرأة باعتبارها كائنا اجتماعيا يستطيع أن يشارك الرجل في بناء المجتمع الجديد، شغلت الكاتب المسرحي الواقعي واتخذت لديه أبعادا وصوّرا شتى لتشمل قضية الصراع بين جيلين أو عقليتين<sup>6</sup> ودور المرأة في المجتمع لا يقتصر فقط على تلك المهام والواجبات التي أوكلت لها كما هو متعارف عليه في المجتمع، وإذا نظرنا للمرأة من المنظور الاجتماعي عند توفيق الحكيم وجدناها ممثلة في شخص المرأة الزوجة الوفية المخلصة لزوجها المحبة الغيرة عليه ففي مسرحيته "الأأيادي الناعمة" التي كتبها الحكيم سنة 1955م تتخذ مادتها من التغيير الذي وجه الحياة في مصر بعد الثورة ممثلا في تذويب الفوارق بين الطبقات وفي طرح قيم اجتماعية جديدة محل القيم البالية التي أجهزت عليها الثورة<sup>7</sup> وهذا ما استخلصناه من المسرحية التي بين أيدينا، فالمرأة الجزائرية كانت وفيه مخلصة وصبورة وسط مجتمع جزائري يعاني الشتات، فتمودج الأم ثاميمونث فضلت البقاء أرملة من أجل أبنائها وحفاظا على سمعة زوجها الذي استشهد إبان حرب التحرير يقول الكاتب... "في نهاية الحرب وجدت أمي ثاميمونث نفسها أرملة وحيدة مع أختاي الكبيرتين قام عمي بتزويجهما بسرعة وعجلة حتى يتخلص من عبئهما لأنهما تجاوزتا سن 16...<sup>8</sup> يوضح لنا الكاتب هنا ذلك الوضع المزري الذي عانت والدته-الأم-

بالإضافة لتعرضها للمضايقات من طرف الرجال، فكانت مثالا للمرأة الشجاعة التي لم تسمح لأي كان بالاقتراب منها أو من أبنائها وحافظت على نفسها احتراماً لزوجها المرحوم في سبيل الوطن، فمثلت رمزا للمرأة الشريفة رغم ظروفها الصعبة.

**يقول الراوي:** أمي مثل كلّ أرامل الشهداء الأخريات، كانت لا تزال صغيرة وجميلة عند نهاية الحرب وكان المقاتلون يتوددون إليهن ويغازلونهن.....وكان عمي أرزقي يأتي إلينا في المناسبات من دون إعلام مسبق، ومن أجل قضية الشرف أراد من أمي العودة إلى القرية وفي كل مرة كانت أمي ترفض..<sup>9</sup> تلك المرأة الحرة التي كانت ترفض من أجل أبنائها حتى تضمن لهم مستقبلا جيدا، لقد عانت المرأة كثيرا على الصعيد الاجتماعي وتجرت مرارة الحرمان والتهميش وسط مجتمع لا يرحم، فأين تلك الحقوق التي تعطيها قيمتها في المجتمع لماذا يقتصر دورها في الحياة الاجتماعية إلا على تنفيذ الأوامر فقط وهذا ما رأيناه عن مصير أختا الراوي التي تم تزويجهما في عمر المراهقة كما رأينا النموذج نفسه مع مصير ثاميمونث، فإذا أخذنا شخصية ثاميمونث نجد تلك المرأة المكافحة والمناضلة الصابرة والوفية التي ضحت بكل شيء في سبيل الوطن تخرج عن صمت لازمها سنوات، كان لها فيها نصيب من الألم والقهر والظلم وتحمل الأذية والأمر لا يختلف كثيرا عن ما تعانيه نساء الجزائر سواء فترة الاستعمار أو حتى بعد استقلال الجزائر، فبعد ما عانتها الجزائر كبلد مستعمر كانت المرأة تعاني استعمارين اثنين، لكنّها كافحت وناضلت بكلّ ما أوتيت من قوة فهي صاحبة الفضل في كلّ شيء، رأينا هذا التجلي للمرأة في المشهد الأول من اللوحة الأولى في صورة الأم ثاميمونث التي عاشت الفقر والجوع والذل والمهانة، جاهدت بالنفس والنفيس كانت تساعد المجاهدين إبان ثورة التحرير ووقفت إلى جانب الرجل في محنه وأصعب أيام حياته، فقدت زوجها لتسلم إليها مهمة المسؤولية للتكفل بأطفالها الأربعة، وعلاوة على كلّ هذا هيمنة وسيطرة من الآخر

تقرض عليها الرضوخ للأوامر ولا خيار لها عن ذلك، إنها صورة مناهضة مقاومة ومكافحة، ويصور لنا الكاتب ذلك الاستغلال الحقيقي والواضح للمرأة ، فالرجل يلجئ إليها وقت الحاجة فقط وذلك من أجل أن تكون له سنداً وعونا لا غير، وهذا يظهر من خلال تلك الأحداث التي تلت استقلال الجزائر وذلك سنة 1963 والصراع على أشده حول الحكم وانقسام الأحزاب في الجزائر والمعارضات السياسية وغيرها، تجد المرأة نفسها مرة أخرى اليد اليمنى لصد أي اختلاف أو ثوران، فرى شخصية القائد في المسرحية وهو يطلب المساعدة من ثاميمونث المجاهدة السابقة في صفوف التحرير حتى بعد خروج المستعمر واستقلال البلد وتذوق طعم الحرية المزمع.

**القائد:** يجب مواصلة العمل كما في السابق، وذلك بإطعام المجاهدين وعلاجهم وتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها

**ثاميمونث:** أنا لم أفهم لماذا....لقد خرج الفرنسيون من بلادنا ولم يعد لدينا الآن أي عدو، يجب أن نتذوق طعم النصر وأن نتغنّى بالحرية والسلام، وأن نعطي التربية والحياة الأفضل لأطفالنا<sup>10</sup> ووسط دهشة من ثاميمونث وهي التي لم تكن تعلم بما هو موجود في الخفاء وأنها مجرد وسيلة، لكنّها سرعان ما ثارت على وضعها وبدأت تفكر في مستقبل أبنائها وهنا تحديدا تظهر وتتضح الصورة الفوتوغرافية للمرأة الجزائرية الناقمة على وضعها، فبعد طول صمت وصبر هاهي ثاميمونث تخرج عن صمتها متحدية الرجل الذي تعود استخدامها كوسيلة لبلوغ غاياته إضافة إلى أنّه لم يمنحها قيمة أو أهمية خاصة، هي ظروف ومعطيات أجبرتها على التعبير بحرية وطلاقة عن وضعها.

**ثاميمونث:** مرة أخرى علينا نحن النساء أن نكون سنداً وعونا لكم ونحن من تأتون لمضايقاتهن كفوا عن التصدع والشقاق بينكم لقد فقدت كل شيء، الزوج والأخ والسقف وأنت تريد أن أوصل القتال ولكن بماذا ولماذا ؟ ومن سيهتم بأولادي؟<sup>11</sup>

إنّ هذا الموقف إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على امرأة عانت في حياتها، وفقدت كل شيء ولا تريد أن تفقد مجددا بعد أن تبقى لها أطفالها فقط إنّها صورة الأمّ الحنون التي تفكر في مصير أبنائها وتريد لهم الأفضل، فبدأ صمودها ومقاومتها من أجل ضمان معيشة هائلة كريمة فانتقلت إلى العاصمة مغادرة القرية وما يسودها من جو مكهرب ومعاناة على المستوى المعيشي والاجتماعي، لتبحث عن وظيفة تستطيع من خلالها توفير حياة لا بأس بها لأبنائها، فاشتغلت عاملة تنظيف لتوفر المأكل والمشرب، وبالرغم من أنّ ثاميمونث انتقلت إلى العاصمة وابتعادها عن القرية إلا أنّها لم تسلم واستمرّ آرزقي بمضايقتها وادعائه بأنّه المتحكم في مصيرها، وهذا ما يوضحه الحوار الآتي:

**عمي آرزقي:** (بنبرة مهددة وهو يوجه عصاه نحو ثاميمونث) أنا أحذرك، إنّ كلّ أخبارك تصلني وأنا في بيتي في القرية لن أسمح لك بتلطّيح سمعتي وسمعة عائلتي في الوحل. تذكّري عندما كان زوجك حيا منفيا إلى فرنسا، ألسنت أنا من طلقك حتّى من دون موافقته أمام قاض؟

**ثاميمونث:** أنا فخورة جدا بأولادي، وأنا لا أعتقد أنّي فعلت ما يسيء لهم أو يلطّخ سمعتهم في الوحل. لقد ربيتهم بمفردي، فانظر لما أصبحوا عليه الآن أحدهم متزوج والآخر سيقوم بدراسات عليا ليصبح طبيبا وهذا أقصى ما أتمناه.

**عمي آرزقي:** (وهو يرفع عصاه بوجه ثاميمونث وكأنّه سيضربها) أنا من يملك حق تقرير مصيرك<sup>12</sup> لتستمر معاناة المرأة وسيطرة الرجل على المستوى الاجتماعي ويعتبر المرأة عدما لا قيمة لها ولا رأي لها سوى الرضوخ لأوامر الرجل، في حين أنّ ينبوع الحنان والعطف والحب موجود ومتجذر بداخلها، كما أنّ تنمية القيم النبيلة وإرسائها في المجتمعات عن طريق تربية النشء تربية متماشية والقيم الإسلامية، إنّها المرأة الجزائرية الأصيلة التي تعطي أهمية تستحقها وتليق بمكانتها في المجتمع، لكنّ

الواقع كان يفرض حقيقة مغايرة مناقضة تماما لهذا الطرح، كيف لا الرجل يتمادى في احتقاره وتجريحه للمرأة وهي التي تتخذ من الصمت ملاذا لها لإسكات أفواه المنتقدين وهذا ما حرّ في نفس الراوي متحديا عمّه الذي كان سيضرب والدته لولا تدخله الفوري.

**الراوي:** لم أعد أحتمل أن تعامل أُمّي بهذه الطريقة منذ عشرين سنة وأنت تراقبنا وتترصد بنا وكلّ هذا بذريعة الشرف(يقف في مواجهة عمّه ويمسك عصاه ثم يدفعه بقوة بالقرب من كوزان ثم يقول لهما) : ما هو هذا الواجب المقدس أو الحق الإلهي الذي يعطيكم كلّ الحقوق على النساء...<sup>13</sup>. هذا التأثير الشديد الذي لم يأت من فراغ ولأنّ الأم هي مصدر الحنان فإنّها رغم كلّ المعاناة إلّا أنّها تتحمل من أجل أولادها. **ثاميمونث :** ثروتي هي أنت....سعادتي هي أن أراكم سعداء<sup>14</sup> ويمكننا القول بأنّ المرأة الجزائرية كغيرها من نساء العالم العربي كابدت مناورات مجتمع رجالي لم يرحمها ولم يعطها قيمتها الحقيقية ومكانتها المستحقة في المجتمع فلا حرية في التعبير أو تقرير المصير، إضافة إلى استغلاله لها لمصلحته الشخصية مستخدما إيّاها كوسيلة غاية لا غير وهذا ما ينطبق على صورة المرأة الجزائرية المكافحة المجاهدة دون اعتراف بالجميل، هي صورة ثاميمونث المرأة التي أفنت حياتها خدمة للقضية الوطنية دونما اعتبار لمجهوداتها وإسهاماتها في استقلال الجزائر، فزيادة على استعمار فرنسا كانت تعاني استعمار واستبداد الرجل الذي كان يراها مجرد سلعة ووسيلة للاستعانة بها وقت الحاجة، ولهذا كان للراوي إطلالة على حال والدته التي عانت كثيرا، فقدم لنا صورة لامرأة جزائرية مغاورة رمز التضحية وينبوع للحب والحنان. لينتقل بنا الراوي في رحلته في سرد لقصة أخرى مشابهة لإحدى أقرب النساء إلى قلبه ألا وهي أخته أين افتتح موضوع الحديث عنها بقضية هي أشبه بهاجس يراود شبابنا، إنها الهجرة التي باعدت الأجساد فالقلوب عن بعضها البعض،

وبهجرة الشباب أو حتى الكهول فالمرأة دائما هي الضحية وأخت الراوي هي زوجة أحد المهاجرين، أين أبحر الراوي في نقل معاناة دامت لأكثر من 30 سنة هجرة لزوجها الذي تركها وحيدة تعاني فبعده عن الوطن خلف العديد من الفراغات التي لم تتمن من تجاوز كل تلك الظروف الصعبة، لم تستطع مجابهة الواقع والمجتمع لأنّه من الصعب جدا على امرأة حديثة الزواج أن تتحمل مسؤولية بيت لوحدها خاصة وأنّها تزوجت في سن مبكر.

**يقول الراوي:** أختي لقد سلبتها الهجرة كلّ شيء شبابها وجمالها وابتسامتها(يشير بإصبعه إلى زوج أخته) تزوجت من هذا الرجل الذي لم تره قط قبل ليلة عرسها، والذي أعدّ حقيبتها بسرعة بعد مدة قصيرة من الزواج ليجري وراء لقمة العيش في الخارج<sup>15</sup> إنّها المعاناة على حقيقتها عاشتها تلك المرأة في فترة جد حساسة فترة عنف وقتل وتشريد فترة العشرية السوداء ، لقد كانت هذه المرأة تحمل العديد من الهموم والمشاكل التي كانت أغلبها أسرية اجتماعية فلوحدها تحمّلت عبء الحياة وانشغالات أبنائها من بطالة وفقر وسوء معيشة، فكانت تلعب دور الرجل وربّ العائلة في غياب زوجها، وظروفها المزرية جعلتها دائمة الصمت لا تتكلم إلاّ بالإيماءات وغالبا ما تتغلب عليها دموعها لأنّها لم تتمكّن من المقاومة وفي مشهدي اللوحة الثانية التي أخذت عنوان أختي يعرض لنا الكاتب مأساة الأخت وصراعها المتواصل مع المجتمع في إحدى صوّر المرأة وهي تنهار وتفقد أدنى آمالها في الحياة السعيدة، في صورة مغادرة للمرأة الجزائرية التي لم نتعوّد على ضعفها واستسلامها، إنّ هذه المرأة نموذج للحرمان والمعاناة لم تر زوجها قط قبل ليلة عرسها فأى حياة زوجية تلك التي تسدها الطمأنينة والحب والسعادة فكيف يحدث ذلك وهي التي تلمح زوجها مرة واحدة سنويا، وهذا كلّ بسبب الهجرة خارج الوطن للحصول على لقمة العيش لعائلته ليترك تلك الزوجة المسكينة فريسة للقلق واليأس ومواجهة مجتمع متخلف رجعي، كما أنّه

هو الآخر أصبح سجين الغربية وفريسة سهلة للمجتمع الفرنسي الذي لا يرحم كل ما هو جزائري، فقد عانى من الوحدة وألم الفراق كان ينخر جسمه نخرا.

**زوج الأخت:** لقد عرفت أهوال الغربية وقساوتها، كما عرفت الوحدة إذ عندما يحل الليل يعود الناس إلى منازلهم ليجدوا دفء العائلة ونظرة من امرأة وضحكة من آخر العقود، أما نحن المغتربون من دون اسم فإننا نهيم ونتوه في الشوارع<sup>16</sup> وهكذا كانت ظاهرة الهجرة سببا في شتات عديد العائلات وتحطيم الأسر ما عاد سلبا على حالة المرأة لأنها المسؤولة عن تربية الأجيال ونشر روح التآلف والمحبة بين أفراد الأسرة، ففي كامل أطوار المسرحية نجد أنّ لمرأة لا تتقوه ولو بكلمة نظرا لتعدد الصدمات والآلام والهموم التي لا تنتهي.

وفي سياق مشابه وعلى الضفة الأخرى في أرض المهجر أين كان يقيم الراوي رفقة ابنته ذات 15 ربيعاً، أين كان للعنصرية حصة الأسد في سيرورة حياة الراوي مع ابنته وهو الذي كان يبحث هنالك عن وسيلة ليضمن بها مستقبل ابنته بحصولها على الجنسية الفرنسية، لكنّ هيهات إنهم في أرض المستعمر ذات فترة، فجد الراوي في لوحته الثالثة والأخيرة والتي تحمل عنوان ابنتي يقف عاجزا عن الإجابة عن الأسئلة المتتالية التي كانت تطرحها ابنته طيلة الوقت، وهنا يصوّر الكاتب لنا تلك العنصرية والمعاملة السيئة لأب وابنته في دائرة الأجانب التي قصداها من أجل الحصول على الجنسية الفرنسية، ومنه التمتع بالحقوق الطبيعية لأي مواطن يقطن بتلك البلد وفي هذا الصدد يجمع الأب وابنته حوارا حول هذا الموضوع

**البنت:** ماذا جئنا نفعل هنا يا أبي ؟

**الأب:** جئنا نطلب الجنسية الفرنسية

**البنت:** لماذا ؟ ألسنا فرنسيين ؟ إننا في فرنسا إذن فكلّ الناس الذين يعيشون هنا هم فرنسيون أليس كذلك ؟

الأب: أنت بلى تقريبا فأنت تنتمين إلى المهاجرين المغاربة من الجيل الثاني الذين يعيشون في فرنسا، نصفك فرنسي ونصفك الآخر جزائري<sup>17</sup> وعلى غرار بقية الشباب الجزائري ظلت العنصرية تلاحق هذه البنت الصغيرة وهذا ما تجلّى في متن المسرحية في تصوير الكاتب للمشهد الذي يتقدم فيه الأب من عامل الشباك في دائرة الأجناب وذلك من أجل طلب الحصول على الجنسية ليقابله هذا العامل بالسخرية والاستهزاء وي طرح عليه أسئلة تتعلق باسمه ولقبه والدين والمهنة، وكانت ردّة فعل هذا العامل بعدم تقبله لكون الأب مهندسا وله ولدان فقط فهو لم يهضم هذه الحقيقة وأراد أن يسقط من معنوياته، لكنّ الأب سرعان ما أمسك بيد ابنته مغادرا الدائرة

الأب: (ينحني ليكون بطول قامة ابنته) كان مزاحا فقط، هذه العنصرية اعتدنا عليها يوميا وأنت تعلمين أنّ كلّ الناس ليسوا مثله<sup>18</sup> وهكذا اختتم الراوي المشهد الأول من اللوحة الثالثة، في صورة العنصرية التي لاحقت وستظل تلاحقه وأبناءه، وخاصة ابنته التي كانت برفقته ولن ينمّح هذا الموقف الذي صادفته في حياتها وستتذكره دوما لأنّها تركت بها أثرا واضحا.

لقد استطاع نور الدين مغسلي من خلال مسرحيته عرض حالة المرأة الجزائرية في المجتمع ورصد معاناتها من مختلف الجوانب وفي مختلف مراحل حياتها وأيقنا من خلال كلّ ما تقدّم أنّه أينما توجد المرأة توجد معاناة ويوجد تهيمش وظلم وعنصرية، من منطلق قصة حقيقية جسّدها الراوي وأهمّ ثلاثة نساء في حياته شخصّ لنا معاناتهن في نقل فوتوغرافي لظروفهن الصعبة وسط مجتمع لا يرحم بالفعل، كهذا إذن تناول الكاتب المسرحي نور الدين مغسلي صورة المرأة من منظور اجتماعي تطرق فيه لجملة من القضايا والمواضيع الاجتماعية.

### 2.3 المرأة من المنظور النفسي:

مما لا شك فيه أنَّ الحياة الاجتماعية للإنسان لصيقة بالظروف والعوامل النفسية التي تتفاعل وانشغالاته اليومية في مواجهة الواقع وقوانين الحياة الصعبة، فإذا كان جنس الرجال يتَّسم بالقدرة على المواجهة والصمود وبالإضافة إلى حريته الفطرية التي ولدت معه فقط كونه رجلاً! فإنَّ المرأة ككيان مرهف الحسّ وتتأثر بأبسط الأشياء علاوة على ذلك من المستحيل تساويها مع الرجل، فولدت وهي مسلوقة الحقوق والحرية في حياتها منعدمة كلّ هذه المعطيات جعلت من المجتمع ينظر للمرأة نظرة دونية، وكثرة الاضطرابات الداخلية في نفسها وتسلل الإحساس بالنقص بذاتها فكانت الأكثر عرضة لظاهرة الاكتئاب والانهيارات النفسية، لأنَّ هناك بعض الضغوطات لا تقدر على تحملها حتَّى وإن كانت من أكثر النساء قدرة على التحمّل وعدم الاستسلام. وحيث أنَّ المجتمع مازال ينظر إلى أنَّ الوظيفة الأساسية للمرأة في الحياة هي الزواج، ولهذا تواجه المرأة الطموحة فكراً العراقيين والصعاب التي تقودها أحياناً إلى العصاب وتواجه المرأة العصابية المشاكل الجنسية والأسرية أكثر من المرأة الطبيعية بسبب رغبة المرأة العصابية في الانطلاق والتساوي مع الرجل في الحرية الاجتماعية والشخصية، وهو مطلب طبيعي للمرأة التي تشعر بإنسانيتها وتكامل شخصيتها كجسم وعقل<sup>19</sup> والمقصود بالعصاب في علم النفس ذلك المرض الداخلي الذي يمتلك المرأة خصوصاً بسبب الظروف المحيطة بها منها الأسرية وسيطرة الآخر (الرجل) والمعاملة القاسية التي تعامل بها من طرفه،

ويعدّ المسرح أحد الفنون والأشكال الأدبية التي عالجت هذا الموضوع الجوهري وعلى رأسهم المسرح الجزائري الذي أخذ المرأة تيمة أساسية في بناء عمله الدرامي ومثلت شقا مهماً في العروض المسرحية على الركب، فتناول هذا الموضوع من مختلف جوانبه خاصة النفسية كيف لا وأنَّ المرأة الجزائرية مرّت بظروف قاهرة، تعرضت لعددٍ من العراقيين وعاشت ظروفًا أقلَّ ما يقال عنها أنَّها مزرية انطلاقاً من فترة

الاستعمار وحتى بعد استقلال الجزائر وصولاً إلى فترة التسعينات فترة القتل والعنف والدم والألم والاستغلال وهدر الحقوق... لقد جسدت لنا مسرحية "ألجربينو" حقيقة المرأة الجزائرية وأنه بالرغم من صمودها في وجه الظلم إلا أن انهيارها يقترب كل مرة منها وهذا بسبب تلك الاضطرابات على جميع الأصعدة والمستويات الممزوجة بمشاعر الخوف والرغبة والاستسلام للواقع المفروض، فتموذج المرأة المجاهدة المكافحة والصامدة في وجه الاستعمار الفرنسي تتحوّل فيما بعد إلى صورة امرأة يعترئها الخوف والاضطراب النفسي إنها "تاميونث" صاحبة الشخصية القوية ولكن فقدانها لجزء كبير من أسرتها في سبيل الوطن، وهكذا أصبحت المسؤولية ملقاة على عاتقها، وبعد كلّ ما شاهدته من مذابح وضحايا سقطوا أمام مرآها فلا بدّ وأن تكون امرأة شجاعة تتمتع بريادة جأش تعادل تلك التي عند الرجل بل يمكن أن تتخطاها، لأنّها تحملت كلّ ما مرت به من فجائع ومصائب، لكنّها وبعد استقلال الجزائر مباشرة لم تطمع في أيّ شيء آخر سوى سعادة أبنائها فأرادت الابتعاد عن تلك الأجواء المشحونة بالصراعات بين الأطراف الساعية للحصول على كرسي الحكم كونها مجاهدة فإنّ لها الحق على الأقل في الحصول على سكن اجتماعي يحميها وصغارها، لكنّها لم تستطع البقاء في جو يسوده الفساد والظلم فحملت أبنائها هروبا من المضايقات التي تتعرض لها كغيرها من نساء الجزائر الأرامل للاستغلال، فبالإضافة إلى اعتمادهم على المرأة أيام الثورة واستخدامها وسيلة لتسيير شؤونهم الخاصة فقد كانوا يعاملونها معاملة سيئة تصل إلى الاعتداء بالضرب والاعتصاب، والراوي شاهد على أفضع أعمال هؤلاء مع النساء.

الراوي: لقد رأيت الطباخ الذي يدعي هو الآخر أنّه من المجاهدين والأبطال العظماء رأيته يقترب من عاملة التنظيف التي كانت تجفف الأرضية ثمّ يمسكها من خصرها ويرميها على السرير، ثمّ يغتصبها دون أن تحرّك ساكنا وكأنها لم تكن المرة الأولى

التي يفعل فيها هذا الخزي والمرأة المسكينة لا تستطيع حتى أن تشتكي أو تبلغ عنه لأحد<sup>20</sup> في هذه النقطة بالذات لنا تلك الحقيقة المرّة عن واقع المرأة فهاهي ضحية أخرى تقع فريسة بين أيدي رجل يسمي نفسه مجاهداً، بأيّ حق يعتدي هذا الرجل على امرأة أرملة لا حول ولا قوة لها وسط مجتمع همجي لا يرحم، وإلى من تشتكي هذه المرأة المسكينة وكلّ الرجال في نظرها ذئاب تنتظر فريستها حتى تلتهمها بشراهة، هكذا عاشت المرأة الجزائرية لفترات طويلة من الزمن والتي انعكست على نفسيتها سلباً فجعلتها دائمة الخوف مضطهدة لا ثقة لها في أي شخص، ولا أمل لها في الحياة سوى راحة وسعادة أبنائها التي تبحث لهم عن مستقبل مزهر وحياة سعيدة ولو على حساب سعادتها، فأى امرأة على وجه الأرض تحتاج حبا ورعاية واهتماما ينسيها وجع الماضي لا يذكرها بشقاء الحياة الصعبة، وفي المسرحية نجد الشخصية النسوية الممثلة في ثاميمونث تقرر الابتعاد بسبب خوفها من المستقبل المجهول وما ينتظرها من معاناة كونها أرملة ومنه هروبها من تلك الضغوطات الاجتماعية والنفسية كذلك.

**ثاميمونث:** أنا خائفة، سألتحق بأختي لويّزة في العاصمة ستجد لي وظيفة هناك سأكون مع أطفال في أمن أكثر<sup>21</sup> إنّ ظروف المرأة الجزائرية إبان فترة الاحتلال الفرنسي تعدّ من بين أصعب الظروف التي مرّت بها على الإطلاق، ورغم كلّ ما تجرّعته من آلام إلا أنّها قاومت بشدّة، بغض النظر عن بقايا آثار نفسية معذبة جريحة وأسىرة الماضي الذي ظلّ يلاحقها في شاكلة ذكريات سوداء، تتمنى محوها من ذاكرتها للأبد لأنّ المرأة بطبعها قابلة للانكسار النفسي فأقلّ الأضرار أو الأحداث التي تصادفها في حياتها تحدث أثراً بالغاً في نفسيتها وتلزمها حدادا وكتابة كبيرين، وهو حال أخت الراوي التي لم تتفوه ولو بكلمة واحدة طيلة أطوار المسرحية واكتفت بملامح الحزن والألم ذلك سببه الظروف القاسية التي عاشتها، فكان الكتمان

هو المسيطر الأول على الحالة النفسية لهذه المرأة والتي عبّر عنها الراوي في نقل صريح منه للحالة النفسية التي آلت إليها أخته وهي في عزّ شبابها، بداية بترويجها في سن مبكرة من طرف عمّها وصولاً إلى أوضاعها المزرية أسرياً واجتماعياً وحتى نفسياً، فالمعاملة السيئة لزوجها ومسؤولية الأبناء لوحدها كلّها ظروف جعلتها لا تحسّ بأيّ عطب أو ألم داخلي فنكتّم فقط لكي لا يتفاقم الوضع، وإذا أردنا أن نقوم بإحصاء أدوارها في المسرحية نجد بأنّ حضورها مغيب اكتفت فقط بالمراقبة من بعيد والبقاء جراء ما تعيشه من ظلم وقهر، ومن دون أن تعبّر عن آرائها أو مشاعرها التي ظلت حبيسة إلى الأبد تحمّلت الوحدة، الفقر، الحرمان والمعاملة القاسية التي تخلو من الحنان التي لم تعرفه مطلقاً فانتهدت حتّى قبل أن تبدأ، ومن خلال نموذج الأم والأخت نستخلص أنّ شخصية المرأة تجسّدت في صورة المرأة القويّة المكافحة رغم ضغوطات المجتمع والتي انعكست على نفسيّتها المتعبة التي جعلتها تكتسب صفة الضعف والاستسلام في بعض الأحيان والظروف الأقوى من كل شيء، ومن جهة أخرى نجد في النموذج الثالث الواقعي الذي رأيناه مع ابنة الراوي التي طالتها العنصرية ولاحقتها وهي في عمر الزهور، فقد صادفت العديد من المواقف الصعبة التي أثبتت لها الواقع المرير والمستقبل المجهول الذي ينتظرها، فقصة الراوي مع ابنته هي الأخرى مؤثرة فقد تعرضت للسخرية والتمييز أمام مرأى ابنته وهي التي لم تتجاوز سن الخامسة عشر، إلّا أنّها كانت على دراية بما تعيشه باعتبارها عربية الأصل جزائرية تعيش في فرنسا ونظرة المجتمع الفرنسي لها ومعاملتهم العنصرية للجزائريين، ترك في نفسها أثراً بالغاً وإحساساً بالظلم والمهانة في إشارة منهم إلى احتقار كلّ ما هو جزائري، وهذا ما جعل هذه البنت تعيش اضطراباً نفسياً واجتماعياً حول انتمائها وماهيتها وما السرّ وراء معاملة الفرنسيين للمهاجرين الجزائريين، وتلك

العنصرية والنظرة الدونية ما الداعي لها وما الطائل من ورائها؟ وتساؤلاتها عن هويتها وانتمائها الحقيقيين تلك الأسئلة الموجهة لوالدها.

**البنت:** ماذا جئنا نفعل هنا يا أبي؟ وعندما أجابها الأب أنّها هنالك للحصول على الجنسية لتتسأل مجدداً وعلامات الحيرة بادية على وجهها

**البنت :** لماذا؟ ألسنا فرنسيين ؟ إنّنا في فرنسا إذن فكلّ الناس الذين يعيشون هنا هم فرنسيون أليس كذلك؟<sup>22</sup> إنّها البراءة بدلالة صريحة على عدم درايتها بما يدور من حولها أو ما ينتظرها من رهانات مستقبلية، وهذا بسبب أنّها تحمل دماء جزائرية، ونظراً لهذه الفروقات الاجتماعية والعرقية فالجزائري سيعاني من عقد نفسية، فما بالك بالأطفال الذين يملكون نفوساً وأرواحاً بريئة تحطمها تصرفات وسياسات عنصرية كما يشاهدون يومياً ذلك الاحتقار والتهميش والسخرية من كلّ ما يمثل الجزائر، فالراوي في هذه المسرحية يسرد لنا بعضاً من تلك المعاملات الجائرة في حقّه وعائلته بالرغم من انتمائه لفئة المثقفين ذوي الكفاءة إلّا أنّ ذلك لم يشفع له شيئاً، ما يجعل من طموح تلك الصغيرة محدوداً.

#### 4. خاتمة:

عالجت مسرحية "ألجرينو" جملة من المواضيع والقضايا التي تتعلّق بواقع المجتمع الجزائري في فترة معينة من الزمن مثّلت فيه المرأة الجزء الأهم من خلال تجلّياتها في متن المسرحية، حيث كان لتوظيفها إضافة تحسب للكاتب المسرحي نور الدين مغسلي وذلك بتقديمه للظروف والأوضاع التي عاشتها المرأة في قالب رمزي، حمل العديد من الدلالات اختصرناها في دراستنا هذه الموسومة بصورة المرأة في المسرحية ورصد حضورها من المنظور الاجتماعي والنفسي، ومن أبرز النتائج المتوصل إليها في هذا البحث نذكر:

-تعدّ تيمة المرأة عنصرا مهما في تشكيل بنية العمل الأدبي بما في ذلك المسرح، إذ تتناوله من مختلف جوانبه ويكون بذلك طرحا قيّما وإضافة محسوبة.

-لقد تناول الكاتب المهجري نور الدين مغسلي موضوع المرأة بتفاصيله الدقيقة، إذ سلط الضوء على الحالة الاجتماعية والنفسية للمرأة لفترة الاحتلال الفرنسي وبعده، وتمكن من نقل أوضاعها الحياتية في شكل لوحات مسرحية متنوعة.

-إنّ الحديث عن المسرحية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية يستدعي الحديث عن أدب المهجر وأبرز مميزاته ذوالنزع القومي.

## 5.المراجع

- <sup>1</sup> محمد منذور: الأدب وفنونه، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة مصر، ط3، 2005، ص87.
- <sup>2</sup> نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنتيت، ط 1، بسكرة، باتنة، الجزائر، 2000، ص132.
- <sup>3</sup> المرجع نفسه، ص132.
- <sup>4</sup> قاسم أمين: تحرير المرأة، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، وحدة الرغبة، الجزائر، 1990، ص131.
- <sup>5</sup> أحمد بيبوض: المسرح الجزائري، نشأته وتطوّره (1926-1989) منشورات التبيين الجاحظية، سلسلة الأبحاث والدراسات، الجزائر، 2007، ص153.
- <sup>6</sup> عبد اللطيف محمد السيّد الحديدي: صورة المرأة في مسرح توفيق الحكيم، دار السعادة للطباعة، ط1، مصر، 1998، ص71.
- <sup>7</sup> المرجع نفسه، ص72.
- <sup>8</sup> نور الدين مغسلي وآخرون: مسرحية ألجرينو، مختارات من المسرح الجزائري الجديد، تر: أحسن ثليلاني، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص485.
- <sup>9</sup> المصدر نفسه، ص491/492.
- <sup>10</sup> المصدر نفسه، ص486.
- <sup>11</sup> المصدر نفسه، ص487.

<sup>12</sup>المصدر نفسه، ص492/493.

<sup>13</sup> المصدر نفسه، ص493.

<sup>14</sup>المصدر نفسه، ص494.

<sup>15</sup> المصدر نفسه، ص503.

<sup>16</sup> المصدر نفسه، 506.

<sup>17</sup>المصدر نفسه، ص517.

<sup>18</sup>المصدر نفسه، ص524.

<sup>19</sup> نوال السعداوي: المرأة والصراع النفسي، دار مطابع المستقبل، ط3، القاهرة، مصر،

1993، ص90.

<sup>20</sup> نور الدين مغسلي: ألجرينو، ص494.

<sup>21</sup> المصدر نفسه، ص488.

<sup>22</sup>المصدر نفسه، ص517.